

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[316] جاء فيما روي عن أهل البيت(عليهم السلام) أن "الورقة" الساقطة بمعنى الجنين الساقط، و"الحيّة" بمعنى الابن، و"ظلمات الأرض" بمعنى رحم الأم، و"رطب" ما بقي حياً من النطفة، و"يابس" ما تلاشى من النطفة(1). لا شك أن هذا التفسير لا ينسجم مع الجمود على المعاني اللغوية للآية، إذ إن معنى "الورقة" و"الحيّة" و"ظلمات الأرض" و"الرطب" و"اليابس" معروف، ولكن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) بهذا التفسير أرادوا أن يوسعوا من آفاق نظرة المسلمين إلى القرآن، وأن لا ينحصرُوا في إطار الألفاظ، بل يتوسعوا في نظرتهم حين توجد قرائن على هذا التوسع. الرواية أعلاه تشير إلى أن معنى "الحيّة" لا ينحصر في بذور النباتات، بل يشمل أيضاً بذور النطف الإنسانية. في الآية الثانية ينتقل الكلام إلى إحاطة علم الإنسان بأعمال الإنسان وهو الهدف الأصلي وإلى بيان قدرة الإنسان القاهرة، لكي يستنتج الناس من هذا البحث الدروس التربوية اللازمة فتبدأ بالقول بأن "الذي يقبض أرواحكم في الليل، ويعلم ما تعملون في النهار: (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار). "توفى" تعني استرجع، فالقول بأن النوم هو استرجاع للروح يعود إلى أن النوم أخو الموت، كما هو معروف، فالموت تعطيل كامل لجهاز الدماغ، وانقطاع تام في ارتباط الروح بالجسد، بينما النوم تعطيل قسم من جهاز الدماغ وضعف في هذا الارتباط، وعليه فالنوم مرحلة صغيرة من مراحل الموت(2). "جرحتم" من "جرح" وهي هنا بمعنى الإكساب، أي أنكم تعيشون تحت ظل قدرة الله وعلمه ليلاً ونهاراً، وأن الذي يعلم بالإنفلاق الحيّة ونموها في باطن الأرض، ويعلم بسقوط أوراق الأشجار وموتها في أي مكان وزمان، يعلم

1 - تفسير البرهان، ج 1، ص 528. 2 - هناك شرح أوفى لهذا

في المجلد الثاني.